Archive of SID

اللّصّ والكلاب؛ دراسة فی الشكل، والمضمون

علی گنجيان خناری*
محبوبة بادرستانی**

الملخص

إنّ اللّصّ والكلاب هی الرواية الثانية لنجيب محفوظ فی فترة الستينات، وقد أصدرها بعد أولاد حارتنا عام ١٩٦١م، فلذا تعتبر من الروايات الرمزية التی أنكر الكاتب من خلالها النظام الجمهوری، وأكّد علی حضور السلطة فی المجتمع المصری. وإنها تصوير حیّ من البلاد التی يسود فيها الظلم، بدل العدالة، وفی الحقيقة العدالة فيها مغمورة، وقد أراد نجيب محفوظ أن يخاطب من خلالها الزعماء الاشتراكيين: أنتم دعوتم الشعب إلی الانتفاضات، والتمردات ثم نسيتم أنفسكم، أنتم خائنون، وهذا النظام هو نظام السلطة، وليس نظاماً جمهورياً.

إنّ الكاتب، والأديب الكبير نجيب محفوظ بالإشارة إلی القضايا هذه يطعنُ فی سلوک الحكام، والزعماء بطرق غير مباشرة، منها: المجتمع المصری، والدين، والمرأة ثم يقدمّها بصورة رواية، وهی اللّصّ والكلاب. يتناول هذا المقال دراسة المضامين المذكورة، بالإضافة إلی دراستها من حيث الشكل.

الكلماتالدليلية: نجيب محفوظ، اللّصّ والكلاب، سعيد مهران، الشخصية، الرواية.

*. عضو هيأة التدريس بجامعة العلامة الطباطبايی.
**. خريجة جامعة آزاد الإسلامية فی كرج.

تاريخ الوصول: ١٣٨٨/٧/١٠هـ . ش تاريخ القبول: ١٣٨٨/١٠/١١هـ . ش

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

لقد مرت الرواية عند نجيب محفوظ بمراحل مختلفة، أبرزها: التاريخية، والاجتماعية، ثم الفلسفية. وتقع اللّصّ والكلاب فی المرحلة الثالثة من مراحل تطور الفن الروائی عند نجيب محفوظ، حيث كتبها سنة ١٩٦١م بعد إصدار أولاد حارتنا، عام ١٩٦٠م وإنّها عبارة عن مواجهة، وتنازع بين الفرد، ومجتمعه، أو الصراع بين اللّصّ والكلاب، أو سعيد مهران والمجتمع .

لقد دار حول اللّصّ والكلاب نقاش بين الناقدين إذ يعتقد بعضهم بأنها رواية، وبعضهم يرون أنّها أقصوصة. والحقيقة أنها همزة وصل بين الأقوصة، والرواية حيث امتزجت فيها خصائص الأقصوصة مع خصائص الرواية، ونجيب محفوظ يؤكد على هذا الرأی قائلاً: «اللّصّ والكلاب رواية قصيرة أو أقصوصة طويلة، ومن هنا جاء اختلافها الطبيعی عن بقية الروايات.» (محفوظ، ٢٠٠٦م: ٢٠٠)

الشخصية فی اللّصّ والكلاب

يستخدم الروائی فی تكوين روايته، وتقديمها إلى القارئ شخصيات رئيسة، وأخرى ثانوية، والشخصية الرئيسة تلعب دوراً هاماً فی القصة، إذ يمكن القول إن بناء القصة عليها، وعادةً موضوع القصة يدور حولها وتشغل الشخصيات الثانوية أيضا دوراً هاماً فی توضيح القصة.

يلجأ نجيب محفوظ فی اللّصّ والكلاب إلى الرمز وينتقی شخصياته كأدوات جزئية صغيرة للتعبير عن أفكار واسعة. والشخصيات فی اللّصّ والكلاب هی: سعيد مهران، رؤوف علوان، نبوية سليمان، عليش سدرة، سناء، الشيخ علی الجنيدی، نور، معلم طرزان، معلم بياضه، المخبر حسب الله، عم مهران والد سعيد، شعبان حسين، و... وهم من الشخصيات المعروفة فی هويتها فی حين أنّ بعض الأشخاص فی الرواية دون الاسم، وهم أشخاص غير معروفين مثل: بواب رؤوف علوان، والدة سعيد مهران، بائع الجرائد، الشخصيات فی القهوة، وصبی القهوة.

www.SID.ir

Archive of SID

إنّ سعيد مهران شخصية قد تعاملت فی مسيرة حياتها مع الأشخاص الذين يطلق الكاتب عليهم لفظ (الكلاب) الذين جرّوها أخيرا إلى المستنقع الذی لم تستطع أن تتخلص منه، وعاشت تماماً فی الظلمة التی هيّأتها الكلاب، وماتت فيها. وهم ليسوا إلا رؤوف علوان، وعليش سدرة، ونبوية سليمان، وابنته سناء. وهؤلاء يعتبرون الأشخاص الثانوية بالمقارنة إلى شخصية سعيد مهران.

أما من حيث تصنيف الشخصيات فيمكن القول إن الشخصية: «إما مسطحة، وهی لا تتأثر بالأحداث، ولاتتغير بتغييرها، ولاتؤثر فيها حوادث القصة، وتكون فی نهاية القصة كما كانت فی بدايتها؛ وإما نامية فهی تتكشف تدريجيا خلال القصة، وتتطور حوادثها، ويكون نتيجةً لتفاعلها المستمر مع الحوادث، ويتحول طابع من عقائد الشخصيات أو أيديوليجيتها.» (مير صادقی، ۱۳۸۰ش: ۹۴-۹۳)

كل الشخصيات فی اللّصّ والكلاب تعد من الشخصيات المسطحة إلاّ (سعيد مهران، ورؤوف علوان، ونبوية سليمان.) كما كان سعيد مهران فی ماضيه لصّا ثائرا فيتحول إلى الفوضوی فی محاولته لقتل رؤوف علوان وعليش سدرة. ونری نجيب محفوظ فی ترسيم شخصياته يعمل بدقة، ومهارة، وحينما يبادر به يراعی البعد الخارجی حيث يستطيع القارئ تصوّرها كما يشير إلى المظاهر الجسدية فی سعيد مهران هكذا:

«بدا سعيد، وهو يتابعه بعينيه البراقتين، وجسمه النحيل القوی كأنه نمر يتربص بنيل.» (محفوظ، ۱۹۷۳م: ۱۳) «رغم العينين اللوزيتين، والوجه المستطيل، والأنف الأقنی الطويل.» (المصدر نفسه: ۱۷) ومن خلال الأوصاف الخارجية للشخصيات، ومعرفة حياتهم يمكن الحدس فی أحوالهم الفكرية، والنفسية كما أن حول شخصية «نور» فی الرواية يمكن القول من الصفات الخارجية التی قدّمها نجيب محفوظ لهذه المرأة، ويمكن من خلالها معرفة أحوالها النفسية بطرق غير مباشرة، كامرأة غير محترمة، وذات الجسد الآثم.

أسماء الشخصيات ودلالاتها

إنّ الأسماء التی يختارها نجيب محفوظ لشخصياته فی الروايات لها دلالةٌ خاصةٌ فی الأغلب، ترمز إلى فكرة معينة أو مفهوم محدّد. واختيار الأسماء غالبا ما يرجع إلى

www.SID.ir

Archive of SID

الشخصية الواقعية كما أن الشخصية الرئيسة فى اللّصّ والكلاب مستمدة من الشخصية الواقعية، وهى محمود أمين سليمان. أما بالنسبة للشخصيات الأخرى، فيبدو أنها ليست واقعية لكن اختيار أسمائها، يرمز إلى مفاهيم محددة ثم إنها مستمدة من الواقع الذى يعيش نجيب محفوظ، وإن لم يكن مستمدة من واقع بعينه.

وهناک تضاد بين بعض الأسماء، ومسمياتها كما هو الأمر بالنسبة لسعيد مهران؛ فإنّه لم يكن سعيداً بل كان يعانى من مشاكل كثيرة. وإلى نهاية الرواية يلاحظ التضاد، وبعض الأحيان يلاحظ التناسب من حيث الاسم، والمسمى، كما أن هذا الأمر يلاحظ فى اسم سناء. إن هذا الاسم بمعنى الضوء، واللمعان حقيقةً، وتمثل الضوء فى قلب سعيد مهران، حيث يحبها من أعماق قلبه.

الأحداث

ينقل نجيب محفوظ الأحداث فى اللّصّ والكلاب إلى القارئ من خلال الصراع بين الشخصية الرئيسة، والكلاب، وهذا الغضب الباطنى من ناحية سعيد مهران فى الحقيقة انعكاس تجاه عمل الكلاب أى (الخونة). فمن ثَمّ يُدرک هذا التعريف جيداً، أنّ «الحدث هو الفعل أو الحادثة التى تُشكّلها حركة الشخصيات لتقدم فى النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة.» (القضاة، ٢٠٠٠م: ٦٩) وعلى هذا الأساس يمكن القول إن الشخصية هى الفاعل، والحدث هو الفعل. وفى المجموع الأحداث فى اللّصّ والكلاب معدودة.

المكان

«إنّ المكان من عناصر البناء القصصى الذى تدور فيه الأحداث، وتتحرک الشخصيات؛ فكل حادثة لابدّ أن تقع فى مكان معين، وتربط بظروف، وعادات، ومبادئ خاصة بالمكان الذى وقعت فيه.» (مريدن، ١٩٧٩م: ٣٠) وذلک «عند نجيب محفوظ واقع ملموس فى جميع رواياته، وقد احتلت القاهرة بأحياءها، وحاراتها، وأزقتها، وشوارعها مركز الصدارة لوقوع أحداث رواياته.» (القضاة، ٢٠٠٠م: ٢٠)

www.SID.ir

Archive of SID

كما أن العلاقة المكانية فی اللّصّ والكلاب أيضا بارزٌ، ولم يتخل الكاتب عن ذكر أحياء مثل العباسية، لأن هذه المنطقة محبوبة عنده، ويلاحظ فی الرواية ذكر صحراء العباسية مكرراً. وفی جزئيات المكان يمكن تقسيمه إلى المكان المغلق، والمكان المفتوح فی الرواية كما يمكن الإشارة إليها فی اللّصّ والكلاب نحو السجن، والشقة كالأماكن المغلقة، وعطفة الصيرفی، والمقبرة كالأماكن المفتوحة.

الزمان

الزمان أيضا مثل المكان عنصر جوهری فی العمل الروائی، ويستعمله نجيب محفوظ كتكنيک حديث فی رواياته، ويعتبره تبلور فی أعمال كان هو الطابع الخاص بها مثل اللّصّ والكلاب، ويستعمل التكنيک الحديث فی لحظات مناسبة .. حالة سيريالية .. حالة مونولوج، ويلاحظ القارئ أن البطل فی اللّصّ والكلاب (سعيد مهران) يعيش فی ماضيه كثيراً، ولن ينساه، وهو فی لحظة واحدة يعود إلى المنصرم، ويغرق فی أعماق نفسه، وفی الحقيقة على هذا النحو يهتم نجيب محفوظ بالاسترجاع فی إنتاجه.

السرد والحوار

إنّ القصة الواحدة يمكن أن تحكى بطرق متعددة، والطريقة التی تحكى بها تلک القصة تسمى السرد. فالسرد هو الكيفية التی تروى بها القصة أو الرواية عن طريق هذا الشكل.

قد يعتمد الروائی فی إنتاجه على السرد فقط دون الحوار غير أنه لا يمكن أن يعتمد على الحوار وحده دون السرد كما قد جمع نجيب محفوظ فی أسلوبه الروائی بين الطريقين، أی السرد، والحوار معاً. إنّ فی اللّصّ والكلاب يروی الكاتب الحكاية من وجهة نظر البطل (سعيد مهران) ويقدم بالتالی الشخصيات الأخرى المحيطة به فی الرواية كما يراهم، ويسمى هذا النوع من السرد (العالم الكل)، مثل هذه العبارة: «هذا هو رؤوف علوان، الحقيقة العارية، جثة عفنة لايواريها التراب.» (محفوظ، ۱۹۷۳م: ۴۷) فهذا الوصف

www.SID.ir

Archive of SID

من وجهة نظر سعید مهران، وهکذا یصف الراوی رؤوف علوان علی لسان البطل.

«من استقراء روایات نجیب محفوظ، لوحظ أن الشخصیات الرئیسیة تتداولها ثلاثة ضمائر أساسیة هی: «الغائب: هو»، و«المخاطب: أنت»، و«المتکلم: أنا.» (عثمان، لاتا: ۲۴۰) کما یبدأ نجیب محفوظ فی اللّصّ والکلاب سرد الروایة بضمیر الغائب، وهذا هو السرد المباشر؛ وهکذا یقوم الراوی بوصف البیئة، والحالات. وقد یُجری الکاتب الکلامَ علی لسان البطل، ویتحدث إلی النفس حیناً، ویخاطب الأشخاص ثم لایلبث أن یتحدث بضمیر المتکلم، ثم بضمیر المخاطب حین یتخیل شخصاً کأنما یحاوره.

ولایترک نجیب محفوظ الحوار فیها إذ إنه جزء هام من الأسلوب التعبیری فی القصة، وذلک من أهم الوسائل التی یعتمد علیها الکاتب فی رسم الشخصیات إذ تتصل شخصیات القصّة بعضها بالبعض الآخر اتصالاً صریحاً مباشراً.

لغة نجیب محفوظ وأسلوبه

«إنّ نجیب محفوظ الروائی یستخدم أحدث أسالیب التکنیک الروائی فی العالم، ففی روایاته نجد تیار الوعی، والتداعی، والفلاش باک، والمونولوج، والضمائر المختلفة.» (عطیة، ۱۹۷۷م: ۱۶۰-۱۵۹)

خاصةً فی الروایات التی صدرت فی الستینات، ومنها اللّص والکلاب، ویبرز فی هذه القصة بعض ألوان تیار الوعی کاستخدام سائد فیها.

ولغة نجیب محفوظ فی الکتابة اللغة الفصحی، ویلتزمها، وبعض الأحیان یستخدم العامیة بین الألفاظ الفصحی، لإضفاء الروح المصریة علی أجواء الروایة.

الحبکة

فی الحقیقة الحبکة هی «سرد حوادث القصّة أو الروایة مع ترکیز الاهتمام علی الأسباب.» (الحمدانی، ۱۹۹۰م: ۱۵) ویتحدث الناقد الإنجلیزی «ای.ام.فورستر» عنها قائلاً: «إذا أردنا أن نعرّفها للقرّاء، نجد أنّ الحبکة مثل القصّة تعتبر روایة الأحداث

www.SID.ir

Archive of SID

المتتابعة التی رتّبت علی حسب توالی الزمن، ودوّنت علی أساس الروابط العليّة.» (پارسی پور، ۱۳۷۸ش: ۲۱)

فعلی أساس هذه التعاريف يمكن الإتيان بنموذجٍ من سير تسلسل الأحداث فی اللّصّ والكلاب كحبكة فنية فی الرواية هكذا:

البداية/السرقة من بيت الطلبة/السرقة فی عطفة الصيرفی/إلقاء سعيد فی السجن/ طلاق نبوية/الحرية من السجن/إنكار سناء/قتل شعبان حسين/قتل بواب رؤوف علوان/ مطاردة البوليس/انمحاق نور/محاصرة البوليس فی المقبرة/الموت بالمشنقة/النهاية.

ويُلاحظ كلّ الأحداث تدور حول سعيد مهران، وفاعل الأحداث إما هو سعيد أو آثار الأحداث تعود إليه.

المجتمع المصری فی اللّصّ والكلاب

إنّ الخلفية الروائية لرواية اللّصّ والكلاب هی المجتمع المصری فی نهاية الخمسينات أو أوائل الستينات حينما كان نظام الملكی فی مصر يلفظ آخر أنفاسه، وأعلنت الجمهورية فيها لكنها مع الأسف واجهت الخيانة. إنّ المجتمع الذی صوّره نجيب محفوظ فی اللّصّ والكلاب مع أشخاصه وأحداثه، هو مجتمعٌ مفعم بالعدالة المغمورة، وبالعديد من الفقراء، والذين يعيشون بالضيّاع، المجتمع الذی فيه ضحيات الفقر كثيرة ممن يلجأن من الفقر، واليأس إلی البغاء، وبيع الجسد للبقاء، والعيش، أمثال شخصية نور فی القصة. والحكومة فيه هی الحكومة التی تساعد الخائن، والمجرم، وتدعُ الأمور للمحكمة التی لا يَصدرُ الحكم فيها إلاّ لصالح المجرم، وليس الحاكم عادلاً لقدرته، ولايساعد الجماهير الذين يعتبرون مجرمين فی رأی الحكومة، والقانون.

الدين

إنّ الدين، والاشتراكية من الاهتمامات الجوهرية عند نجيب محفوظ، وهو يعتقد: «أن القوتين تتنازعان الإنسان، والإنسان لايملک أن يتجاهلهما.» (محفوظ، ۲۰۰۶م: ۱۴۷)

www.SID.ir

Archive of SID

تطرح قضية الدين، والعقيدة فی اللّصّ والكلاب من خلال العلاقة بين سعيد مهران، والشيخ علی الجنيدی الذی يمثل جانب الإيمان فی نفس سعيد مهران، والفكرة الدينية، والإيمان؛ فی حين إنها كانت بعيدةً عن عقل سعيد مهران. ينظر نجيب محفوظ إلی الدين فی اللّصّ والكلاب كعامل لايتمكن من حل المشاكل، وحتی الفساد يمكن أن ينفذ إليه؛ ويلاحظ هذا الرأی من خلال حلم شخصية سعيد مهران، وأراد أن يقول نجيب محفوظ من خلاله، حتی الأوغاد ينفذون إلی الدين، ويؤثرون علی رجال الدين، والفساد يَنفذ إليهم.

المرأة

إنّ قضية المرأة من الطبقة المتوسطة الشعبية، هی من القضايا التی يعالجها نجيب محفوظ دائماً، والمرأة الشعبية محصورة دائما فی ثلاثة نماذج من الشخصيات النسائية: خادمة، أو عالمة، أو مومس، وتشغل المرأة المومس التی تنتمی إلی الطبقة الشعبية حيزاً هاما فی بعض روايات نجيب محفوظ. (راجع: العشماوی، ۲۰۰۵م: ۱۱۱) ويريد نجيب محفوظ أن يشير من خلالها إلی انحرافهن، وفی الواقع يرجع انحرافهن إلی الأسباب، والظروف الاجتماعية، وإنّ الغالبية منهن يرتكبن الإثم بسبب الفقر بسبب المجتمع.

يقدّم نجيب محفوظ فی اللّصّ والكلاب نموذجين للمرأة المصرية، هما نبوية زوجة سعيد مهران، ونور فتاة الليل التی كانت تحب سعيد مهران.

كانت نبوية سيدة محترمة، ومن الخادمات التی تعمل فی بيوت الأغنياء، لكنها بعد زواجها، وإلقاء زوجها فی السجن خانته، وتزوجت من صديق زوجها، ووطئت كلّ الأحاسيس، والحب بينهم بسبب الانطلاق من الصعوبات الجديدة فی الحياة.

أما نور أو شلبية، فهی كانت ابنة خادم كان يعمل عند العمدة فی قرية البلينا فی أيام طفولتها، أما بسبب الفقر، والظروف تركت القرية، واختارت المدينة للوصول إلی الرغد، لكنها تحولت إلی مومس. فی حين أنها كانت منحرفة، لكنها كانت فاضلة، وذات قلب صاف فی جوهرها، وبسببها أعطی نجيب محفوظ اسماً جميلاً لها (نور) مصداقاً عليها.

www.SID.ir

Archive of SID

إذ وفرّت لسعيد مهران ظروفا مناسبة لإقامته، وللوصول إلى نياته، وأصبحت الشعاع الوحيد الذى ينير ظلمات اليأس فی حياة سعيد مهران.

أما شخصية نور فهی النقيض لشخصية نبوية، ولقد أراد نجيب محفوظ أن يبرز من خلالها الفرق بين النساء الفاضلات، والمحترمات، وغير المحترمات فی نظر المجتمع. وهو يستعمل المومس فی رواياته ليوضّح للقارئ بشكل مباشر فساد أناس، المفروض فيهم عدم الفساد، وعلى أساس آراء الأديب الكبير نجيب محفوظ يفطن إلى دور المومس بين الشخصيات النسائية اللاتی يهتم بها نجيب محفوظ، واهتمامه بها له لون سياسی.

النتيجة

بصفة عامة إنّ الروائی أو كاتب القصة، يتطور فی خلق أثره تحت منهجه الخاص الذى يسمى بالأسلوب، وبعناصر مختلفة تحت عناوين: الشخصية، والحدث، والمكان، والزمان، والسرد، والحوار؛ ويقدّم روايةً أو قصةً تهدف إلى فكرة معينة.

وطعن نجيب محفوظ من خلال اللّص والكلاب فی سلوك الحكام، والزعماء المصريين بصورة غير مباشرة، وبصورة رمزية، وأشار إلى مضامين الدين، والمرأة، والمجتمع، كما عبر عن عيوب الحكام حتى يعلنَ من خلالها أنّ النظام فی مصر ليس نظاماً جمهورياً.

وما يجذب القارئ فی اللّصّ والكلاب، فهو رمزها الذى يستتر فی مضمون الرواية، وهذا الاتجاه من اتجاهات نجيب محفوظ فی المرحلة الثالثة من تطوره الروائی.

المصادر والمراجع

أحمد القضاة، محمد.٢٠٠٠م. التشكيل الروائی عند نجيب محفوظ. الطبعة الأولى. لابـ : الموسسة العربية للدراسات والنشر.

پارسی پور، كامران. ١٣٧٨ش. ساختار عناصر داستان. تهران: سازمان تبليغات اسلامی.

عثمان، بدری. لاتا. بناء الشخصية الرئيسية فی روايات نجيب محفوظ. لبنان: دارالحداثة للطباعة

www.SID.ir

Archive of SID

والنشر والتوزيع.
العشماوی، فوزية. ۲۰۰۵م. المرأة فی أدب نجيب محفوظ. لابـ :مكتبة الأسرة.
لحمدانی، حميد. ۱۹۹۰م. بنية النص السردی. بيروت: دارالبيضاء.
محفوظ، نجيب. ۱۹۷۳م. اللّصّ والكلاب. الطبعة السادسة. القاهرة: مكتبة مصر.
محفوظ، نجيب. ۲۰۰۶م. أتحدث إليكم. بيروت: دارالعودة.
محمد عطية، أحمد. ۱۹۷۷م. مع نجيب محفوظ. بيروت: دار الجيل.
مريدن، عزيزة. ۱۹۷۹م. القصة والرواية. دمشق: دارالفكر العربی.
ميرصادقی، جمال. ۱۳۸۰ش. عناصر داستان. تهران: انتشارات سخن.

www.SID.ir